اللغة في الفلسفة التحليلية
دراسة للمنعطف اللغوي في فلسفة القرن العشرين

د. فراس عبد الهادي شاكر
قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية
جامعة الأنبار

مقدمة

معلوم أنّ الفلسفة كانت ولا تزال ترفد الأسس المعرفية لجميع العلوم الإنسانية بما في ذلك اللغة، فقد كانت اللغة ومنذ افلاطون قضية من القضايا الفلسفية الكبرى، تناولها في المحاورة"١" وتناولها من أتى بعده. إلا أنها لم تكن يوماً محوراً للبحث الفلسفي على امتداده الطويل حتى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، فقد اختلف الأمر بعد أن انعطف الفكر الفلسفي نحو اللغة، متخذاً منها أداة لحل مشكلاته المتعددة. وبالطبع كان لذلك دوافع وأسباب عديدة نتناول بعضها في الصفحات الآتية.وقد سميت الفلسفة بعد تلك الانعطافة (الفلسفة اللغوية) كذلك (الفلسفة التحليلية أو فلسفة التحليل اللغوي) ذلك أن عملها أصبح قائماً على التحليل اللغوي بشكل أساسي، وهو ما قد تختلف إجراءاته من فيلسوف لآخر ومن مدرسة فلسفية لأخرى.ونظراً لهذا الاهتمام الفلسفي باللغة تطور البحث في المجالات اللغوية كافة، محققاً ظهور نظريات ومناهج لغوية جديدة. والى اليوم مازال التأثير الفلسفي على اللغة حاضراً وفعّالا-.ومما يجدر ذكره أني لم أكن مهتماً في بحثي هذا بالفكر الفلسفي لذاته، بل كان جُل اهتمامي منصباً على الجانب اللغوي من الفكر الفلسفي المعاصر بغية تتبع الثيمة اللغوية لدى فلاسفة القرن العشرين، وما تأسس على ذلك من مدارس وتيارات ومناهج لغوية عديدة تهتم بدراسة المعنى. لذا يمكن عدَّ هذا البحث خطوة أولية من خطواتٍ أُخر للوصول الى فهم ما آلت إليه دراسة المعنى في الأبحاث المعاصرة.

في المصطلح: فلسفة لغة أم فلسفة لغوية (تحليلية)؟

لا بد لنا أولاً وقبل كل شيء من تحديد مصطلح المفهوم الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث هل هو فلسفة لغة أم فلسفة لغوية؟ إذ يستعمل كثير من الباحثين والكتّاب المصطلح الأول للدلالة على الفلسفة اللغوية (التحليلية) التي برزت في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، متخذة من اللغة والتحليل اللغوي آلية لعلاج مشكلاتها العالقة. ونحن إذ نقابل بين هذين المصطلحين نقابل بين مجالين مختلفين، الأول (فلسفة اللغة) وهو مجال لغوي يدرس فلسفة لغة من اللغات الإنسانية أو اللغة الإنسانية بشكل عام، ويعرّف بأنه ((محاولة لتقديم أوصاف فلسفية لملامح عامة في اللغة من قبيل الإشارة، والصدق، والمعنى، والضرورة المنطقية ...)) "٢"، فهو شيء من قراءة اللغة فلسفياً ــ إن صح التعبير ــ وذلك بأن ننظر الى اللغة ونصفها وفقاً للفكر الفلسفي، كما حدث مع حقل التاريخ فكانت هناك فلسفة التاريخ، وحقل العلم فكانت هناك فلسفة العلم ... إلخ. ما يعني أن فلسفة اللغة مجال يعنى بتوصيف اللغات فلسفياً، بالتالي هو (دراسة فلسفية من أجل اللغة). أما المصطلح الثاني (الفلسفة اللغوية) ويرادفه مصطلحا (الفلسفة التحليلية، وفلسفة التحليل اللغوي)، فيشير الى الفلسفة العامة وما آلت إليه في القرن العشرين، حيث اقترنت باللغة، وأصبحت لغوية في إجراءاتها ومظاهرها جميعاً. وذلك بعد أن لاحظ عدد من الفلاسفة أن مشكلات الفلسفة وقضاياها العالقة سببها عامل لغوي يتجسد في غموض كثير من المصطلحات والتعبيرات التي تكتنف لغة الفلسفة، فانعطف هؤلاء نحو التحليل اللغوي لمعالجة الأمر. ما يعني أن الفلسفة اللغوية (التحليلية) إجراء لغوي نقوم به من أجل أن تقدم الفلسفة حلولاً لقضاياها المتعددة. ويمكن بعد هذا التوضيح المقتضب القول بأن فلسفة اللغة دراسة فلسفية للغة، ومن فروعها فلسفة اللغة العربية، وفلسفة اللغة الإنجليزية، وفلسفة اللغة الفرنسية ... إلخ. أما الفلسفة اللغوية (التحليلية) فهي دراسة لغوية للفلسفة، وذلك بأن نأتي الفلسفة من جانبها اللغوي.ولأن موضوع هذا البحث المصطلح الثاني فسنفصل فيه القول، ونرجئ الحديث عن موضوع المصطلح الأول لبحث مستقل نقدمه فيما بعد بإذنه تعالى.

ظهور المصطلح:

علينا الاتفاق أن مصطلح (فلسفة اللغة) يستعمل من قبل العديد من الباحثين – وكما أشرنا قبل قليل – للدلالة على مفهوم (فلسفة التحليل اللغوي). لذا فعندما نصادف المصطلح الأول في النصوص التي سترد لاحقاً، فهذا معناه أننا أمام مفهوم الفلسفة اللغوية التحليلية بمعناه الواضح.تعود محاولات استغلال اللغة والتحليل اللغوي في تقديم حلول لمشكلات

الفلسفة الى نهايات القرن التاسع عشر، إلا أن الظهور الأول لهذا المصطلح كان في بداية القرن العشرين على يد كروتشه في العام ١٩١٩م في كتابه (محاولات في الاستطيقا)، إذ عنون فصلاً كاملاً منه بعنوان (فلسفة اللغة)"٣".أما أول كتاب صدر في فلسفة التحليل اللغوي فهو كتاب ألبرت دوزيه في العام ١٩٢٠م معنوناً إياه بـــ (فلسفة اللغة)"٤".من بعد ذلك ذاع صيت المصطلح وانتشر في الأوساط الفلسفية للدلالة على الفلسفة الجديدة التي تقوم على التحليل اللغوي.

ماهية فلسفة التحليل اللغوي (الفلسفة التحليلية)"٥":

الفلسفة اللغوية أو التحليلية هي قبل كل شيء ردة فعل على هيمنة النزعة المثالية على الفلسفة العالمية، والفلسفة الإنجليزية بوجه خاص، لعقود ليست بالقليلة"٦". فبعد أن سيطرت النزعة المثالية على عقول الفلاسفة لسنين طويلة، ثم ازدهرت على يد هيغل ومن جاء بعده، أصبح الجدل الفلسفي أشبه بالدوران في حلقة مفرغة لا يمكن أن تصل من خلاله الى نتيجة فلسفية واضحة، فامتلأت كتب الفلسفة بمصطلحات وتعبيرات غاية في الغموض. ما حدا الفلاسفة وتحديداً في نهايات القرن التاسع عشر الى التململ مما آلت إليه الفلسفة، فراحوا يبحثون عن منهج فلسفي جديد يعيد للفلسفة قدرتها على قراءة العالم قراءة واضحة ودقيقة. وكان هذا العامل أساسياً في بروز اتجاه مضاد للفلسفة الهيغلية "٧". لكن الذي حدد هذا الاتجاه (الاتجاه التحليلي) ورسم ملامحه بدقة عامل آخر هو تأثير التطور الكبير الذي لحق بالعلوم الرياضية والطبيعية ((فقد تطور المنطق الرياضي في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين تطوراً هائلاً بفضل أعمال جوتلوب فريجه الألماني وبيانو الإيطالي، ورسل ووايتهيد الانجليزيين)) "٨". كذلك التحول الكبير في منهج العلوم الطبيعية من الحدس الى التجريب في بدايات القرن العشرين من أجل الحصول على نتائج أكثر دقة وواقعية "٩" كل ذلك كان له أثر واضح في بزوغ رغبة فلسفية من أجل وضع منهج مشابه لطبيعة المنهج العلمي الجديد الذي يتميز بالدقة والوضـــوح التام.وتلك الرغبة هي التي وجهت الفلسفة آنذاك نحو التحليل الذي يعد إجراءً علمياً يمكن من خلاله الوصول الى حلول مقبولة لمشكلات الفلسفة. ومن هذا الجانب بالذات وصفت الفلسفة الجديدة بـــ (التحليلية). والمفهوم العام للتحليل بحسب ب.ف.ستروسن هو ((نوع من الترجمة أو بالأحرى نوع من إعادة الصياغة ، إذ إنه ترجمة ضمن لغة واحدة وليس من لغة الى أخرى . إنه ترجمة من شكل أقل وضوحاً الى شكل أكثر وضوحاً، أو من شكل مثير للالتباس الى شكل أقل إثارة للالتباس))"١٠"، ما يعني أنه تحليل (لغوي) يعمل على إزالة علامات الاستفهام الناتجة عن وعورة المصطلحات والتعبيرات الفلسفية الخاصة، التي لا يمكن تجاوزها إلا بتفكيك تلك (الأشكال اللغوية) لفهم العناصر المكونة لها ثم إعادة تركيبها بشكل صحيح، لينتج لنا شكل لغوي سمته الوضوح. لذا غالباً ما يعرّف التحليل بأنه ((عملية يراد بها اكتشاف عناصر موضوع معين، من أجل غرض خاص، وهذا يعني أن الغرض من التحليل هو تقليل درجة الغموض في المركبات بتوجيه الانتباه الى الأجزاء المتعددة التي تتركب منها))"١١"، وبهذا المفهوم أصبحت الفلسفة تعمل على تفكيك القضية الى أجزائها من أجل إزالة الغموض الذي يكتنفها والإجابة على كافة التساؤلات التي ترافقها وتقديم رؤى أكثر دقة ووضوحاً مما كانت تفعله الفلسفة المثالية. إلا أن هذا التحول في مسار الفلسفة – الذي سُمي فيما بعد (المنعطف اللغوي) – لم يكن ذا مذهب واحد بل كان ((يضم عدداً من المذاهب المتجانسة مثل الواقعية الجديدة ومؤسسها الفيلسوف الإنجليزي جورج مور والذي سار في طريقها بعد ذلك برتراند رسل، وكذلك الوضعية المنطقية التي ظهرت أولاً على يد موريس شليك وحمل لواءها بعد ذلك آير وكارناب)) "١٢".وهذا التعدد في مذاهب الفلسفة التحليلية ومصادرها ينبئ بتعدد الأفكار والعقول الفلسفية التي ساهمت في بروز وازدهار الاتجاه التحليلي في الفلسفة الحديثة. وعلى الرغم من تعدد تلك العقول نجدها متفقة على نقاط عامة، أهمها "١٣":

١. تعد الفلسفة تحليلاً في المقام الأول.

٢. التركيز على دور اللغة في حل المشكلات الفلسفية.

٣. الوقوف موقفاً ناقداً ومعارضاً للميتافيزيقيا.

٤. يجب أن ترمي معظم التحليلات الى الدقة والوضوح.

وهذه النقاط تكشف لنا ملامح الفلسفة الجديدة وطبيعتها وطبيعة عملها، فهي فلسفة (تحليلية) في المقام الأول، تعمل على تحليل القضايا وتفكيكها الى الأجزاء المكونة لها من أجل تقديم توضيح وافٍ عنها. ووفقاً لذلك تصبح مهمة الفلسفة تحليل المعارف وتوضيحها لا اكتسابها، ما يشير الى الخاصية غير المعرفية للفلسفة الجديدة، فليس من مهام الفلسفة التحليلية أن تكون لها قضايا بل عليها العمل من أجل توضيح القضايا، بالتالي هي لا تضيف معرفة جديدة بل توضح ما نعرفه بالفعل"١٤".

دور اللغة في فلسفة التحليل اللغوي:

أما عن دور اللغة في هذا التيار الفلسفي الجديد فهو دور محوري يختلف تماماً عما كان عليه في التيارات الفلسفية الأخرى.فعلى الرغم من كون اللغة ومنذ أفلاطون هاجساً فكرياً عميقاً لدى الفلاسفة كما أشرنا في المقدمة، وفي ذلك يقول أريك غريلّو: ((تاريخ الفلسفة من أفلاطون الى فوكو مليء بأمثلة مماثلة. ولكن المقاربة لسؤال اللغة تتم بطريقة جانبية، بمعنى أنه لا تعطى له الأولوية مقارنة بالموضوعات الأخرى، ولا يكون موضوعاً رئيسياً للتساؤل الفلسفي. واللغة عموماً عرضة لمقاربات متعددة)) "١٥" .نقول على الرغم من ذلك لم تكن اللغة هدفاً منشوداً كما هي اليوم، فنظرة الفلاسفة التحليليين إليها نظرة مختلفة تماماً عن نظرة غيرهم، إنهم يرون فيها الحل المثالي لمشكلات الفلسفة عموماً، بل يرون فيها ضرورة فلسفية لا بد منها وذلك لاعتقادهم ((بأن سبب المشكلات الفلسفية سبب لغوي، فإذا ما تم تحليل لغة تلك المشكلات زال عنها كل لبس وغموض ولم يعد هناك ما يسمى بالمشكلة)) "١٦". إن اللغة في نظر هؤلاء سبب المشكلات الفلسفية، وهي في الوقت ذاته حلها المناسب، إلا أن استغلال اللغة (حلاً) لم يكن ذا شكل واحد لدى الفلاسفة جميعهم، فقد تنوع شكل الاهتمام بها من فيلسوف لآخر. وإذا أردنا معرفة القيمة اللغوية في الفلسفة التحليلية والدور الريادي لها علينا الرجوع الى جهود رواد هذه الفلسفة، ونخص بالذكر جورج إدوارد مور وبرتراند رسل ولودفيغ فتغنشتاين، ذلك أنهم أكثر الفلاسفة التحليليين مساهمة في هذا المجال.

جورج إدوارد مور (١٩٥٨-١٨٧٣م) :

لا نريد أن نخوض في تفاصيل حياة هذا الفيلسوف أو جهوده الفلسفية العامة، إنما يهمنا إسهامه في صيرورة اللغة حلاً منهجياً لمشكلات الفلسفة من خلال الإجراء (التحليلي) الذي اعتمدته فلسفة القرن العشرين.ويكاد يتفق الباحثون في الفلسفة على ريادة مور للمنهج التحليلي، فهو من أوائل الذين ثاروا على المثالية الهيغلية والمثالية الجديدة، وذلك من خلال مقاله (دحض المثالية) الذي نشره في العام ١٩٠٣م "١٧".وكان هذا المقال بمثابة إعلان رسمي عن رفض مور للفلسفة المثالية وما جاءت به من مفاهيم، ورفضه للمنهج التأملي الذي تقوم عليه هذه الفلسفة. ولم يكن هذا الرفض رفضاً سلبياً (خالياً من أي بدائل)، بل جاء مور بما يمكن أن يحل محل المنهج التأملي في الفلسفة المثالية، وما يمكن أن يقدم حلولاً مقنعة لمشكلات الفلسفة عموماً.إن المنهج الذي ابتدعه مور ((يعد من المصادر الرئيسية لحركة التحليل)) كما يقول تشالزوورث"١٨"، يقوم على رفض معتقدات العقل التأملي ويذهب الى اعتماد معتقدات الحس المشترك، لأنها تمثل الواقع الذي نعيشه بشكل ملموس ومضمون محسوس، بعيداً عن التأملات المليئة بالمغالطات والأخطاء في تمثيلها لهذا العالم. والسؤال الآن ما مفهوم الحس المشترك الذي نادى به مور؟

الإدراك الفطري أو الحسّ المشترك :

منذ أن رفض جورج مور (المثالية) وهو يحاول تقديم منهج يكون أقرب الى الصدق والواقعية في تحليل القضايا الفلسفية، وكانت مشكلته مع المثالية تتمثل في عدم تقبله لمعتقدات العقل التأملي الذي يعتمد تصورات عقلية محضة لا يمكن التحقق من صدقها أو صحتها، ما يشير الى عزلة الأساس المعرفي الذي تقوم عليه المثالية. لذا كانت المعالجة الحقة في نظر مور هي اعتماد مصدر معتقدات وحقائق عامة آخر يتميز بالصدق والموضوعية، مصدر يمكن التحقق من مصداقيته من خلال مطابقته مع الواقع، وكان ذلك المصـــدر معتقدات الحس المشترك، فكتب مقالاً بعنوان (دفاع عن الحس المشترك) في العام ١٩٢٥م ((أكد فيه على ضرورة التمييز بين الأقوال التي نعرف يقيناً أنها صادقة، وتحليــلات أمثال هذه الأقوال التي نسعى الى تقرير معنـــاها الكامل))"١٩". وهنا يرى مور أن ما ندركه بفطرتنا وما نحس به هو ما يمكن أن نصدقه ونأخذ به في معالجة القضايا الفلسفية، فالمعطيات التي يمكن الاعتماد عليها – باعتبارها مسلمات لا يمكن التشكيك فيها – هي ما تدركه فطرتنا وما نحس به (مشتركين) من حقائق نعيشها وحقائق تمثل عالمنا الواقعي الذي نحيا فيه، وهي ما يطلق عليه (المعتقدات العامة) أما ماهية تلك المعتقدات (معتقدات الحس المشترك) فيمكن القول بأنها المعتقدات ((التي يشترك جميع الناس في معرفتها، ويجمع الأكثرية على صحتها، ومن المعتقدات اليومية التي يشترك فيها جميع الناس ــ سواء كانوا عباقرة أو أميين ــ هو تسمية الأشياء الباردة بأنها (باردة)، والسوداء بأنها (سوداء)، والأيام المشمسة بأنها (مشمسة)، وأن طريق الخلاص من الجوع هو الطعام، وأن الماء يطفئ النار. وتنشأ هذه المعتقدات من تجارب يومية بدائية. ولا تتحدد تلك المعتقدات بعدد معين، وهي في تزايد مستمر مع تطور الجنس البشري))"٢٠".فمعتقدات الحس المشترك إذن هي ما نعرفه أنا وأنت وهذا وذاك، ما نلاحظه في حياتنا اليومية، ما نشترك في معرفته، وهي الحقائق التي نؤمن بصحتها وصدقها لأنها حقائق تمثل حياتنا وتجاربنا وتعامل حواسنا مع العالم الذي نحيا فيه، لذا لا يمكن إنكارها أو التشكيك فيها بأي شكل من الأشكال. وبعد هذا الدفاع عن الحس المشترك والإيمان بما يأتي عن طريقه، ورفض معتقدات العقل التأملي، نظر مور في لغة الفلسفة المثالية وما يكتنفها من غموض، وما تشتمل عليه من مصطلحات خاصة (مغلقة) إن صح التعبير، والتي كانت سبباً في تعقيد الكثير من المشكلات الفلسفية ــ بحسب رأي مور نفسه ــ لذا قرر العدول عن هذه اللغة واللجوء الى لغة واضحة تمام الوضوح يستعملها أبناء المجتمع في تواصلهم اليومي خالية من أي تعقيد محتمل، وهي لغة الحس المشترك الذي طالما نادى به ، إنها (اللغة العادية) التي يقول غيلبرت رايل في توضيحها ((عندما يتحدث الناس عن استعمال اللغة العادية، فإن كلمة (عادي) تكون في مقابلة ضمنية أو صريحة مع (غير مألوف) و(سري) و(اصطلاحي) و(شعري) و(رمزي) وأحياناً (قديم) . وتعني كلمة عادي (مشترك) و(عامي) و(دارج) و(طبيعي) و(غير رمزي) و(على كل لسان). وكلمة عادي على تعارض عادة مع الأساليب التي تعرف قلة من الناس فقط كيفية استعمالها، مثل المصطلحات الفنية، والرموز الاصطناعية للمحامين، واللاهوتيين، والاقتصاديين، والفلاسفة، ورسامي الخرائط، والرياضيين، والمناطقة الرمزيين))"٢١".والطريف في الأمر أن رايل يشير في كلامه أعلاه الى المشكلة الحقيقية التي تعاني منها الفلسفة المثالية، وهي لغتها الخاصة التي تشتمل على أساليب معينة قلة من الناس تعرف كيفية استعمالها، فذكر من بين هؤلاء الناس الفلاسفة.فالعلاقة التلازمية بين الحس المشترك واللغة العادية هي التي دفعت مور ومن سار على نهجه الى تبني اللغة العادية واتخاذها ممثلاً لغوياً للفلسفة الجديدة"٢٢"، فاهتموا بها اهتماماً بالغاً حتى جعلوا منها معياراً لفحص سلامة اللغة الفلسفية، وكثيراً ما أكدوا على النقاط الآتية"٢٣":

١. إن الكثير من العبارات الفلسفية المهمة تحيد عن اللغة العادية
٢. إن هذه العبارات (الفلسفية) مضللة وتبدو غالباً غير هامة ــ الى حد ما ــ عندما تعاد صياغتها بصورة صحيحة.

٣. إن أية عبارة فلسفية تحيد عن اللغة العادية تعد عبارة خاطئة. لذا كان لا بد من اعتماد اللغة العادية وتقديمها ممثلاً لغوياً لفلسفة القرن العشرين، والتخلص من لغة الفلسفة المثالية الخاصة، المليئة بالعبارات المضللة كما يرى مور وأغلب الفلاسفة التحليليين. ما تم عرضه يمكن تلخيص جهود جورج إدوارد مور في مجال تطوير فلسفة القرن العشرين بنقطتين اثنتين، الأولى تتمثل برفضه معتقدات العقل التأملي وتقديم معلومات الحس المشترك بديلاً عنها. والثانية تتمثل برفضه لغة الفلسفة التأملية وتقديم اللغة العادية بديلاً عنها.ولأن قضيتنا لغة الفلسفة فلنا أن نسأل الى أي مدى يمكن أن تكون اللغة العادية قادرة على مجاراة الفلسفة بمصطلحاتها ومفاهيمها الكبرى، وما تقدمه لنا من أنساق فلسفية شمولية؟ إن هذا التساؤل ربما هو ما دفع رسل الى رفض تمثيل الفلسفة لغوياً باللغة العادية، مرتئياً رأياً آخر في هذا الموضوع، نتبينه في الآتي.

برتراند رسّل (١٩٧٠-١٨٧٢م) :

((يعد رسل فيلسوف القرن العشرين بلا منازع، لم يترك مجالاً من المجالات التي تهم أبناء هذا القرن إلا وكان له الرأي فيه والتعليق عليه. فلم يكن رسل فيلسوفاً فحسب بل كان رياضياً ومنطقياً وسياسياً وأديباً ورجل تربية وإصلاح))"٢٤". لعل هذا النص يلخص لنا ما يمكن قوله في رسل، إلا أن ما يهمنا حقاً موقفه من الحس المشترك واللغة العادية.مما يجدر ذكره في هذا الصدد أن رسل في بداياته كان متوافقاً مع آراء جورج مور، وكان ثائراً على الفلسفة الهيغلية، رافضاً إياها ومتخذاً موقف مور ذاته من الحس المشترك، إلا أنهما (أي مور ورسل) يختلفان في علة رفضهما للمثالية.فمور ينطلق من التعارض بين معتقدات الحس المشترك ومعتقدات العقل التأملي في الفلسفة المثالية، أما رسل فينطلق من التباين بين منجزات العلم المعاصر ومنجزات العقل التأملي. فضلاً عن هذا التمايز لم يرَ رسل في اللغة العادية حلاً لمشكلات الفلسفة بالرغم من موقفه الرافض للغة الفلسفة المثالية، والتي كان يعدها سبباً في كثير من مشكلات الفلسفة. فهو مع ذلك لم يتقبل اللغة العادية ويرى بأنها ((عاجزة عن التعبير بدقة عن المفاهيم العلمية كما أنها كثيراً ما تضللنا بنظمها السيء وبألفاظها الملتبسة))"٢٥"، هكذا كان ينظر الى اللغة العادية، ووفقاً لهذه النظرة رفض أن تكون اللغة العادية لغة فلسفية أو علمية حتى.وأكثر من ذلك راح رسل يحذر من ضلال الطريق تحت تأثير لغة بهذه الأوصاف، قال ((إن تأثير اللغة على الفلسفة ــ فيما أظن ــ قد كان تأثيراً عميقا، وإن كان قد بقي غير معترف به تقريباً. ولو أننا أردنا لأنفسنا ألّا نضل الطريق تحت هذا التأثير، لأصبح لزاماً علينا أن نكون على بينة من أمر هذا التأثير، وأن نسائل أنفسنا بكل إمعان وتدبر عن المدى المشروع الذي يمكن أن نمضي إليه في هذا السبيل))"٢٦".وفي المقابل نجده يدعو الى بناء لغة كاملة خالية من العيوب (اصطناعية دقيقة) تستطيع التعبير عن قضايا الفلسفة ومنجزات العلوم، وقد حاول ذلك مراراً، إلا أنه فشل في تقديم نموذجاً مثالياً مقنعا "٢٧".مما تقدم نستنتج أن رسل وافق مور في رفضه الفلسفة المثالية، إلا أنه خالفه في الحلول الممكنة، ولعل ذلك يعود الى رغبة رسل في بناء فلسفة (علمية) تفيد من نتائج العلم الحديث، والفلسفة العلمية هذه بحاجة الى لغة علمية (مصطنعة) تستطيع القيام بمهام التعبير الدقيق عن المفاهيم المعقدة والعميقة. وممن وافق رسل فيما ذهب إليه الفيلسوف النمساوي الشهير فتغنشتاين (وذلك في مرحلته الفلسفية الأولى).

لودفيغ فتغنشتاين (١٩٥١-١٨٨٩م) :

((قد يكون من المفارقات العجيبة في تاريخ الفكر المعاصر أن يكون أكثر الفلاسفة تأثيراً على الفلسفة الإنجليزية في القرن العشرين هو لودفيغ فتغنشتاين الفيلسوف (النمساوي) الذي تتلمذ على يد كلٍ من مور ورسل))"٢٨"، وهو التلميذ الذي تفوق على أستاذه، كما صرّح مور معترفاً "٢٩".يعد فتغنشتاين إضافة كبيرة للفكر الفلسفي بصفة عامة، فهو لم يكن كغيره مجرد حاملٍ للإرث الفلسفي أو ناقل له، بل إنه يشكل انعطافة مؤثرة غيرت أو ساعدت في تغيير مسار الفلسفة في القرن العشرين. وذلك آتٍ من نظرته الخاصة للفلسفة ووظيفتها، يقول ((إن موضوع الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار،

فالفلسفة ليست نظرية من النظريات بل هي فاعلية، ولذا يتكون العمل الفلسفي أساساً من توضيحات، ولا تكون نتيجة الفلسفة عدداً من القضايا الفلسفية، إنما هي توضيح للقضايا. فالفلسفة يجب أن تعمل على توضيح وتحديد الأفكار بكل دقة، وإلا ظلت تلك الأفكار ــ معتمة ومبهمة ــ إذا جاز لنا الوصف))"٣٠".بهذا النص يلخص لنا فتغنشتاين وظيفة الفلسفة، أو ما يجب أن تكونه بالفعل. إنها فاعلية ونشاط توضيحي للقضايا. فهي لا تضيف معرفة جديدة بل توضح ما نعرفه مسبقاً. وهو (أي فتغنشتاين) بهذا يقترب كثيراً من رؤى أستاذه مور"٣١".وبالعموم فقد مرّ فتغنشتاين بمرحلتين فلسفيتين"٣٢"، الأولى يمثلها كتابه (رسالة منطقية فلسفية ١٩٢٢م)، وهو الكتاب الذي منح فتغنشتاين شهرته الواسعة؛ لما تضمنه من آراء جريئة لم يسبقه إليها أحد من الفلاسفة. وناقش فيه قضايا الفلسفة جميعها ووضع لها الحلول المناسبة بحسب ادعائه. وقد بدا فيه متأثراً برسل ونظرية الذرية المنطقية. كذلك دعا في هذه المرحلة الى وضع لغة مثالية مصطنعة (رمزية) بعد أن فشلت لغة الفلسفة المثالية في تمثيل الفلسفة تمثيلاً لغوياً ناجحاً. الثانية فيمثلها كتابه (بحوث فلسفية)"٣٣" الذي نُشر بعد وفاته بسنتين في العام ١٩٥٣م ، ونقد فيه فلسفته المبكرة وآراءه التي وردت في كتابه الأول ، عائداً الى آراء أستاذه مور بما في ذلك اهتمامه باللغة العادية ، ففي هذه المرحلة أَولى فتغنشتاين اللغة العادية اهتماماً بالغاً حتى هيمنت على فلسفته عموماً ، فقالوا فيه بأنه ((أكثر الفلاسفة التحليليين اهتماماً باللغة ، حيث قدّم لنا تصوراً جديداً حول اللغة))"٣٤" وهذا التصور الجديد سمّاه فتغنشتاين (الألعاب اللغوية) ، وأكد فيه على عدم إمكانية فصل معاني الألفاظ عن طرائق استعمالاتها ، فلو أردنا معرفة معنى لفظة ما علينا معرفة الطريقة التي استعملت فيها تلك اللفظة ، وإلّا فسوف نقع في الوهم . إذ لا يمكن أن يكون اللفظ مستقلاً بدلالته عن الطرائق المحتملة لاستعماله في اللغة.ولعل هذه الحقيقة التي توصل إليها فتغنشتاين هي التي جعلته يتمسك باللغة العادية ويدحض فكرة اللغة المصطنعة (الرمزية)، لما في الأخيرة من بعدٍ عن الواقع وبعدٍ عما يمكن أن تكونه اللغة الحية التواصلية.هكذا أصبحت اللغة العادية الشغل الشاغل لفتغنشتاين، فأوغل في دراستها، ودراسة علاقتها بالمجتمع الذي تحيا فيه. كذلك حاول من خلالها توضيح شروط تحقق المعنى"٣٥". وتوصل في أواخر أبحاثه الى المبدأ القائل (المعنى هو الاستعمال) وهو المبدأ الذي يعد نتيجة مركزة للألعاب اللغوية التي وضعها. وقد آمن بهذا المبدأ فلاسفة أكسفورد عموماً"٣٦".بهذه الكيفية إذن تناول رواد الفلسفة اللغوية (التحليلية) اللغة، وهكذا كان اهتمامهم باللغة العادية، اهتمام ينم عن شعور بضرورة تفعيل الجانب اللغوي في الفلسفة للتوصل الى تقديم حلول مناسبة لقضاياها، فكان أن حصلت انعطافة كبيرة في تاريخ الفلسفة، سميت لاحقاً (المنعطف اللغوي)، وهو مازال مهيمناً على الفلسفة المعاصرة.ولكي نعرف التأثير المتبادل بين الفلسفة واللغة علينا تتبع جهود الفيلسوف فيتغنشتاين ونظريته الشهيرة ألعاب اللغة، وجهود فلاسفة أكسفورد المتأثرين كثيراً به ، إذ تمثل أعمال هؤلاء مجتمعين الأساس الفلسفي لمعظم نظريات المعنى التي وضعت في النصف الثاني من القرن العشرين.وما أدل على ذلك من نظرية الفعل الكلامي لأوستن، ومبدأ التعاون لغرايس، فالمتتبع لأصول هاتين النظريتين يجد أنهما تعودان الى تأثير الفلسفة التحليلية على اللغة. وهو ما سنعمل على تفصيل القول فيه إن شاء الله في بحث آخر متصل بهذا البحث نقدمه لاحقا.

خاتمة

إن الفكرة المحورية التي يركز عليها البحث تلك الهيمنة الكبيرة للغة على الفكر الفلسفي في القرن العشرين، إذ تحولت (اللغة) من كونها قضية من القضايا الفلسفية الى حلٍ شامل لتلك القضايا جميعها. وذلك بعد أن توصل الفلاسفة في نهايات القرن التاسع عشر الى أن المشكلات الفلسفية في حقيقتها مشكلات لغوية تنبع من طبيعة لغة البحث الفلسفي، تلك اللغة المليئة بالتعقيد والغموض واللبس. ما حدا بهم الى محاولة وضع لغة اصطناعية رمزية خالية من الأخطاء والوهم واللبس والنقص، إلا أنهم لم يفلحوا في ذلك فركنوا الى اللغة العادية (لغة التواصل اليومي)، وانتهجوا التحليل اللغوي منهجاً

فلسفياً لتقديم الحلول والرؤى المناسبة لقضايا الفلسفة، فكُتب للفلسفة الجديدة (اللغوية) أو (التحليلية) النجاح والتطور. واستمر ذلك النجاح والامتداد حتى ألقى بظلاله على صفحات البحث اللغوي، فقدم له نظريات ومناهج عديدة، وتطورت تبعاً لذلك دراسات المعنى بفروعها كافة.ولا شك أن ما عرضناه لا يمثل إلا بداية متواضعة للبحث في طبيعة وشكل التأثير الفلسفي على البحث اللغوي وتطويره – ودراسة المعنى على وجه الخصوص – في القرن العشرين.

الهوامش

١) ينظر: محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة).
٢) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص٥.
٣) ينظر: الفلسفة واللغة ــ نقد (المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة: ص ١٩٦، وفلسفة اللغة ــ الكبرى: ص ١٢.
٤) الفلسفة واللغة ــ نقد (المنعطف اللغوي) في الفلسفة المعاصرة: ص١٩٦.
٥) آثرت استعمال مصطلح التحليلية بدل اللغوية لأنه يدل دلالة واضحة على عمل فلسفة القرن العشرين من جهة،
٦) ينظر: تحليل اللغة في رسالة فتغنشتاين المنطقية الفلسفية: ص٨.
٧) ينظر: فلسفات التربية: ص٢٨٨.
٨) تحليل اللغة في رسالة فتغنشتاين المنطقية الفلسفية: ص٩.
٩) ينظر: فلسفة اللغة، لمحمد مهران: ص٢٦.
١٠) ثورة البحث عن المعنى: ص٨٨.
١١) فلسفات التربية: ص٢٨٧.
١٢) م.ن: ص٢٠٤.
١٣) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص١٢.
١٤) ينظر: م.ن: ص١١.
١٥) فلسفة اللغة، لأريك غريلو: ص٩.
١٦) اللغة والمعنى: ص٧٠.
١٧) ينظر: فلسفة اللغة، لمحمد مهران: ص٤٤.
١٨) ينظر: م.ن، ص.ن.
١٩) فلسفة اللغة، لمحمد مهران: ص٤٥.
٢٠) اللغة والمعنى: ٧٨، هامش رقم (١).
٢١) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص٢١، ٢٢.
٢٢) ينظر: النظرية المنطقية عند كارناب: ص٨٤.
٢٣) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص٢١.
٢٤) فلسفة اللغة، لمحمد مهران: ص٤٧.
٢٥) التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص٣٢.
٢٦) نقلا عن: دراسات في الفلسفة المعاصرة: ص٢١٤، ٢١٥.
٢٧) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص٣٣.
٢٨) دراسات في الفلسفة المعاصرة: ص٢٣٩.

٢٩) ينظر: م.ن: ص٢٤١.

٣٠) رسالة منطقية فلسفية: فقرة ١١٢، مقطع ٤، ص٩١.

٣١) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص١١.

٣٢) لتفصيلٍ وافٍ ينظر: فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين: ص١٦-١٨.

٣٣) وهو في الأصل محاضرات لفتغنشتاين جمعها وطبعها بعض من تلامذته بعد وفاته.

٣٤) الفلسفة التحليلية المعاصرة: ص٥٣، ٥٤.

٣٥) لتفصيلٍ وافٍ عن تلك الشروط ينظر: اللغة والمعنى: ص١٢٤-١٣٦.

٣٦) ينظر: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: ص٢٩٧.

مصادر البحث

١. تحليل اللغة في رسالة فتجنشتاين المنطقية الفلسفية: د. فيصل غازي مجهول، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد: صلاح إسماعيل عبد الحق، الطبعة الأولى، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت

٢. ثورة البحث عن المعنى – مقالات في فلسفة القرن العشرين: تحرير: ألفريد جواز أيار، ترجمة: فاتنة حمدي ود. منذر الكوثر، دار الحكمة – لندن، ٢٠٠٤.

٣. دراسات في الفلسفة المعاصرة: د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، د.ت.

٤. رسالة منطقية فلسفية: لودفيغ فتغنشتاين، ترجمة: د. عزمي إسلام، مراجعة وتقديم: د. زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلوالمصرية،

٥. فلسفات التربية: إبراهيم ناصر، الطبعة الثانية، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ٢٠٠٤.

٦. الفلسفة التحليلية المعاصرة – من اللغة الصورية الى اللغة العادية: محمد بن سباع، بحث منشور في مجلة منتدى الأستاذ، العدد الثامن عشر (جوان ٢٠١٦)، قسنطينة – الجزائر.

٧. فلسفة اللغة: أريك غريلو، ترجمة: عفيف عثمان، الطبعة الأولى، منشورات المركز العلمي العراقي – بغداد، دار ومكتبة

٨. فلسفة اللغة عند لودفيغ فتغنشتاين: جمال حمود، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة – الجزائر،

٩. فلسفة اللغة – قراءة في المنعطفات والحدثيات الكبرى: مجموعة من الأكاديميين العرب، تحرير وإشراف: د. اليامين بن تومي، الطبعة الأولى، ابن النديم للنشر والتوزيع – الجزائر، ٢٠١٣.

١٠. الفلسفة واللغة – نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة: د. الزواوي بغورة، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة

١١. اللغة والمعنى – دراسة في فلسفة لودفيج فتغنشتاين المتأخرة: أسارى فلاح حسن، الطبعة الأولى، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد

١٢. محاورة كراتيليوس (في فلسفة اللغة): أفلاطون، ترجمة: د. عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، عمان –

١٣. النظرية المنطقية عند كارناب – دراسة فلسفية لجدل العلاقة بين المنطق والعلم والفلسفة: د. رشيد الحاج صالح، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٨.